الأهرام

المصدر : المصور
التاريخ : ١٤مارس ٢٠٠٠

فى الجنوب اللبنانى
موت وبؤس وحياة ومقاومة

قبل أن أصل إلى مطار بيروت الدولى لاستقل الطائرة إلى القاهرة دق محمول السائق كان «وضاح فخرى» على الطرف الآخر قال لى:

لم نكن نحب أن نودعك بمثل هذا الخبر، الأسرة التى كنت فى زيارتها أمس بقرية «المنصورى» بالجنوب تعرضت للقصف اليوم، والطفل «محمد» الذى التقطت له الصور، فى المستشفى بين الحياة والموت، وابن عمه ذو الستة عشر عاماً توفى إثر أصابته بقذيفة، والأسرة كلها فى المستشفى تعانى من بعض الجروح!

صرخت يا الله.. محمد الذى لم يتجاوز الثانية عشرة، هذا الصبى الجميل الذى ملأ المكان حيوية من حولى، وأصر أن أشرب القهوة ، وابن عمه هذا الشاب الذى يبدو أكبر منه لأنه رياضى قوى البنيان، راح هكذا فى غمضة عين.

بلا أى سبب أو جريرة، هذه الأسرة البسيطة المكافحة المتسامحة مع الحياة رغم قسوتها تفقد أبناءها، مستقبلها.

وتخيلت أطفالا آخرين فى الجنوب فقدوا آباءهم وأمهاتهم هكذا يعيش أهل الجنوب اللبنانى.

ربما أشعر بسخف ما أقوم به من هذه الكتابة العاجزة أمام هول ما يحدث، اكتشف العجز العربى فى مواجهة مأساة الجنوب وتبدو صورة العالم اللا نسانى قبيحة أمامى، بدءاً من العم سام الذى يبرر لاسرائيل كل أفعالها، ونهاية بالصديق الفرنسى ساوى بين الجانى والمجنى عليه.

ولكن كلمات حسين الزعنى الذى فقد ابنه الشاب عبر الهاتف دفعتنى إلى الكتابة قال لى: يكفينا أن نجد فى مصر من يشعر بما نحن فيه، من يقف بقلبه معنا، اكتبى ما حدث لأسرة الزعنى، لتكونى شاهدة على أفعال اسرائيل.

سوف أحكى لكم ما رأيت فى الجنوب، وستكون آخر محطاتى مع أسرة الزعنى المكلومة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

المشهد الأول:

عند مشارف صيدا زحام شديد، ذكرنى بشوارع القاهرة، اضطررت للنزول من السيارة البولمان وترجلت حتى ساحة النجمة حتى لا أتأخر عن موعدى مع وضاح فخرى رئيس رابطة الزراعيين بالجنوب دليلى إلى الجنوب اللبنانى.

الحياة تسير عادية حركة بيع وشراء نشطة، أناس رايحين وغادين حيوية ربما أكبر مما رأيت فى بيروت، لم أشعر أن هناك حرباً أو قصفاً.

قال لى وضاح فخرى، أهالى الجنوب اعتادوا الحياة وسط القصف لديهم اصرار على البقاء على أرضهم.

أما الزحام. فهذا طبيعى لأن فى الجنوب أعلى كثافة سكانية فى لبنان، يسكن الجنوب مليون ونصف المليون نسمة حوالى ٤٠٪ من اجمالى سكان لبنان وينقسم الجنوب إلى محافظتين محافظة لبنان الجنوبى وتضم صيدا وصور وبنت جبيل والزهرانى، ومحافظة النبطية وتشمل النبطية ومرج عيون وجزين.

الجنوب سبعة أقضية وكل قضاء ينقسم إلى عدة قرى.

– هذه الحيوية فى الشارع الجنوبى هل تعنى أن أهالى الجنوب لا يعانون من مشاكل اقتصادية وهم يعيشون ظروفاً استثنائية؟

ملحوظة: فى مزرعة وضاح انقطعت لمبة الكهرباء، وبواسطة مولد بسيط أضاء لمبة صغيرة فى المكان الذى نجلس فيه.. أهالى الجنوب اعتادوا على الحياة بدون كهرباء وأحياناً بدون مياه لتعود إلى سؤال.

قال وضاح: لا يوجد أصعب وأقسى ظروف اقتصادية بسبب الاحتلال، من ٤٠ إلى ٥٠٪ من أهالى الجنوب يعتمدون على الزراعة، والجنوب ينتج ٨٠٪ من إجمالى إنتاج الموالح والموز والتبغ فى لبنان، وكل الزراعات تأثرت، بسبب الاحتلال الاسرائيلى عندما اجتاحت لبنان، قامت بجرف مساحات كبيرة من البساتين والمزروعات على جوانب الطرق (٥٠ متراً من كل جانب ومع بداية المقاومة، بدأت اسرائيل تجرف وتحرق كل مكان يطلق منه رصاصة وفرضت حصارا على أهالى الجنوب، الذين لم يستطعوا تصريف محصولاتهم أو نقلها خارج الجنوب، ونشأ فريق من العملاء للاحتلال الاسرائيلى يتلقى رشاوى باهظة لنقل المحاصيل، وبعد انسحاب اسرائيل حتى نهر الليطانى، بدأ نوع آخر من المعاناة، يقوم الأهالى بالزراعة تحت نيران القصف، يزرعون وهم غير متأكدين إذا كانوا سيجنون هذا المحصول أم لا، هذا بخلاف ارتفاع كلفة الانتاج.

ومع الأسف لا أحد يقف إلى جوار المزارع فى الجنوب، حتى الدولة لا تعوضه إذا ما تعرض للخسارة، بل أن البنوك تقرض المزارع بفوائد ٣٠٪، ولا نجد سوقاً خارجياً لمحاصيلنا بسبب ارتفاع أسعارها.

وبتأثر شديد يقول وضاح.. نحن لا نطلب هبة من أحد، ولكن الجنوب الذى يتعرض للموت ويدفع الدم والأرواح فى سبيل قضيته، يحتاج فقط لمن يشترى انتاجه دعماً لصمود ومساندة له ليستطيع مقاومة الاحتلال، المقاومة لم تنجح إلا لأن هناك شعباً يحتضنها فى الجنوب وهذا دور الاخوة العرب.

تبدلت نظرة وضاح عندما ذكر المقاومة، ظهرت فيها القوة والتصدى، نسى ما كان يحكيه من مشاكل مزارعى الجنوب وبدأ يحكى عن المقاومة بنبرة فيها تحد، قال نحن نقاتل من أجل أرضنا المغتصبة وضد مبدأ الاغتصاب حتى ولو كان فى أرض غير لبنانية ضد الدولة اليهودية العنصرية، حزب الله العمود الفقرى لهذه المقاومة، ونحن ندعمه وأهالى الجنوب يقفون من خلفه يساندونه،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

والقادرون من الجنوبيين يمولون المقاومة، وغير القادرين أيضاً، يتحرك أعضاء من حزب الله يحملون صناديق للتبرع للمقاومة يرفعون الأعلام، ويمرون على أهالى لبنان بكل تهذيب.

أيضا لحزب الله مؤسسات استثمارية وإجتماعية والتعليمية فى الجنوب وفى بيروت.

مجازر لن ننساها

المشهد الثاني:

فى الطريق أشار محمد عبيد - مدير رابطة الزراعيين والذي اصطحبنى فى رحلتى للجنوب إلى مكان وقال هنا قتل الأطفال الأبرياء فى المذابح الاسرائيلية سألته عن حجم المذابح.

قال: المجازر الاسرائيلية محفورة فى الذاكرة لا يوجد حصر دقيق للشهداء، ٢١ مارس هو يوم ذكرى شهداء أطفال الجنوب، فى يوم عيد الأم .

فى هذا اليوم نفسه عام ١٩٩٤ كانت هدية اسرائيل لامهات الجنوب ضرب سيارة مدرسية تقل الأطفال إلى منازلهم، ولقى عشرة منهم حتفهم غير من قتلوا من الأطفال وهم مترجلون، ليصل عدد الأطفال القتلي ٢٥ طفلاً.

سجل المجازر الاسرائيلية فى الجنوب ضخم، ولكن على سبيل المثال، مجزرة العباسية ١٩٧٨، حيث استهدفت اسرائيل مسجد بلدة العباسية، الذى التجأ إليه الناس هرباً من القصف، فلم تتوان اسرائيل عن ضرب المسجد، ليسقط ٨٠ شهيداً من النساء والأطفال والعجائز.

ومجزرة «مفرق الزهراني»، راح ضحيتها ٥٥ شخصاً، ولا يمكن أن ينسى سجل المجازر فى الجنوب «مذبحة قانا» التى راح ضحيتها ١٠٦.

ونحن مازلنا فى صيدا أشار محمد عبيد إلى ميدان وقال هذا مساحة الشهداء حيث ارتكبت اسرائيل مجزرة جماعية عام ١٩٨٣.

على الطريق شرق صيدا أشار محمد إلى مخيم «عين الحلوة» الذى يقطنه الفلسطينيون من لاجئى الأمس. ثم قال رغم هذا النزوح إلا أن أهالى الجنوب عادوا مرة أخرى إلى أرضهم خاصة بعد اتفاق ابريل ١٩٩٧، وهناك لم يغادروا الأرض وظلوا متمسكين بها رغم الظروف الصعبة.

على الطريق أثار دهشتى قصور كبيرة جديدة، قلت من ألقى بأمواله إلى التهلكة.

قال محمد عبيد أهالى الجنوب الذين اغتربوا، جمعوا أموالاً، وجاءوا بها إلي هنا ليبنوا قصوراً يتحدون بهاالعدوان.

ملحوظة: أحد المسئولين فى الحكومة اللبنانية ذكر لى أن ٨٥٠ قصراً وڤيللا تم بناؤها خلال السنوات الثلاث الأخيرة.

عاصمة المقاومة

المشهد الثالث:

مقاومة الجنوب ليست فقط فى حمل البنادق وصواريخ الكاتيوشا، المقاومة موجودة فى كل حارة وكل شارع، فى المحل الذى يفتح أبوابه تحت القصف ليلبى حاجات البلدة، فى الأناس العاديين الذين يحمون أبناء المقاومة، فى الاصرار على عدم ترك الأرض فى البناء والتعمير تحت نيران القصف.

على مشارف البلدة صور لشهداء حزب الله، وفي كل الشوارع تطل عليك هذه الصور تشعر وكأنها جزء من أساس البيوت الملصقة عليها، يطلقون عليها عاصمة المقاومة «تلك هى النبطية».

د. مصطفى بدر الدين رئيس بلدية النبطية، طبيب قلب وشرايين مستقل ومتحالف مع حزب الله.

سكان النبطية ٧٥ ألف نسمة، ولأنها عاصمة التجارة فى الجنوب يأتيها يومياً ١٥٠ ألفا للعمل والتجارة.

الاقتصاد فى الجنوب يعتمد على أموال أبناء المغتربين الذين لا يبخلون عليه، ويحلمون بالعودة.

الجنوب ليس حكراً على حزب الله، بل كل القوى السياسية موجودة، التيارات الحزبية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية